

المحاضرة السادسة والعشرون

المرحلة الخامسة: مرحلة الركود والتقليد

بانتهاى القرن السادس توقفت حركة الابداع في التفسير ،وبدا دور التقليد والجمود حيث شرع المفسرون في هذه الفترة يتجهون الى نقل الاقوال المأثورة عن اسلافهم من المفسرين دون ان ينسبونها الى قائلها مختصرين في ذلك الاسانيد فكان هذا ايدانا بفتح الباب على مصراعيه لدخول الوضع قال حاجي خليفة "ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين: فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من سنع له قول يورده، ومن خطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك خلف عن سلف، ظانا أن له أصلا، غير ملتفت إلى تحجير ما ورد عن السلف الصالح، ومن هم القدوة في هذا الباب. قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله - سبحانه وتعالى -: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، نحو: عشرة أقول، مع أن الوارد عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وجميع الصحابة، والتابعين: ليس غير اليهود والنصارى. حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا اختلافا من المفسرين"

وظهرت المختصرات في علم التفسير لان تفاسير مرحلة التأصيل تمتاز بالشمول والسعة ولم يظهر مفسرا ذكيا يجمع بين التفسير العقلي والنقلي غير ابي الثناء الالوسي (ت: ١٢٧٠)

المرحلة السادسة: مرحلة التجديد في العصر الحديث

تبلورت هذه المرحلة على يد السيد جمال الدين الافغاني ،وبعد وفاة الافغاني حمل لواء الاصلاح تلميذه الشيخ محمد عبدة

ابرز اسس التجديد التي وضعها محمد عبدة

- ١- محاربة التقليد الذي جعل الامة عاجزة عن ان تواجه تيار الحياة المتجددة
- ٢- اعمال العقل في تفسير النص القرآني
- ٣- ترك العلوم والمصطلحات في التفسير ،والنظر الى القران الكريم من حيث هو كتاب هداية
- ٤- العودة الى الكتاب والسنة ،وترك الآراء الفلسفية والكلامية
- ٥- بيان حكمة التشريع في العقائد
- ٦- الاستفادة من العلوم الحديثة في التفسير
- ٧- انكار الروايات الاسرائيلية الكاذبة

٨- الاهتمام بتنظيم الحياة الاجتماعية

اشهر تلاميذ الشيخ محمد عبدة

- ١- رشيد رضا صاحب تفسير المنار
- ٢- الشيخ احمد مصطفى المراغي
- ٣- الشيخ عبد القادر المغربي صاحب تفسير جزء تبارك
- ٤- الشيخ محمود شلتوت
- ٥- وسيد قطب في تفسيره ظلال القران

ابرز مظاهر التجديد في العصر الحديث

- ١- ظهور الاتجاه العلمي في التفسير واشهر من اهتم به الشيخ طنطاوي جوهرى ، واحمد الغمراوي ، وحنفي احمد ، وغيرهم
- ٢- ظهور التفسير الموضوعي

الفصل السادس : ضوابط التجديد في التفسير

التجديد من الجِدَّة ، والكلمة تدور على إبراز ما لم يكن بارزاً أو إنشاء ما لم يكن منشأً أو من الإيجابية في العمل والاستمرار فيه

التجديد في الاصطلاح

قيل التجديد هو "احياء ما ندرس من العمل بالكتاب والسنة والامر بمقتضاها "

وقيل تجديد الدين هو "احياء وبعث معالمه العلمية والعملية التي آياتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف "

ضوابط التجديد في التفسير

يمكن لنا ان نبين تلك الضوابط من خلال الاتي

- ١- ضوابط تشمل في المفسر ذاته

اولا : ضوابط المفسر المجدد

الضابط الاول : صحة الاعتقاد

اول ما يشترط في المفسر المجدد ان يكون صحيح الاعتقاد قال الطبري " اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فإن من كان مغموصا عليه في دينه لا يؤمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن إن كان متها بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغر الناس بليه وخذاعه كدأب الباطنية وإن كان متها بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكن ليصدهم عن إتباع السلف ولزوم طريق الهدى "

الضابط الثاني:الاحاطة بقواعد التفسير واصوله

وعلم أصول التفسير: يراد به القواعد الكلية التي تمكن بواسطتها من فهم القرآن وتفسيره، ومن خلال هذا تعرف أن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، كلام الله - عز وجل - ويمكن أن نتعرف على الفوائد التي سنجنحها من علم أصول التفسير، من خلال ما يأتي:

أولا: بواسطة هذا العلم -علم أصول التفسير- نتمكن من فهم كلام الله - عز وجل - فأصول التفسير هي المناهج التي تبين لنا الطريق الذي يلتزمه المفسر في كلام الله تعالى، ولا شك أن لكلام الله مزية وخاصة، وأن تدبر القرآن أمر مطلوب، قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } قال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ }

وثانيا: من فوائد معرفة أصول التفسير، أننا نسلم من الإثم المرتب على القول على الله بلا علم، ومن تفسير القرآن بالرأي المجرد، وقد تواترت النصوص في بيان عظم إثم من قال على الله بلا علم، قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ } إلى أن قال: { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } وقال سبحانه: { وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ومن لم يتمكن من معرفة هذه القواعد -قواعد التفسير- فإنه حينئذ يحرم عليه أن يفسر القرآن، ويجب عليه في فهم القرآن أن يعتمد على فهم غيره، ما لم يكن معروفا بأصل اللغة.

ومن فوائد معرفة أصول التفسير: الترجيح بين أقوال المفسرين، فنحن عند قراءة تفسير القرآن، نجد أقوالا مختلفة، فطائفة يفسرونها بقول، وطائفة يفسرون الآية بقول آخر، ما هو الراجح من هذه الأقوال؟ يمكن أن نتعرفه من خلال معرفة أصول التفسير.

ومن فوائد هذا العلم أيضا: أن نحكم على أقوال المفسرين تصويبا وتخطئة، فعندما نعرف هذه القواعد، ثم نجد قولاً لأحد من المفسرين يفسر القرآن، فإننا نطبق هذه القواعد على قوله، فننظر هل قوله قول صائب، أو هو قول خاطئ.

ومن فوائد معرفة أصول التفسير أيضا: أننا نتمكن من معرفة الأحكام الشرعية الواردة في القرآن، فإننا إذا عرفنا معاني القرآن من خلال قواعد التفسير وأصوله، تمكنا من استخراج الأحكام الشرعية .

وكذلك من فوائده: أن تعرف أحكام النوازل الجديدة، والمسائل الحادثة، فإن هذا القرآن العظيم قد بين الله أنه جعله تبياناً لكل شيء، وكل ما احتجنا إليه من أحكام الشريعة، فهو موجود في الأدلة الشرعية، فحينئذ عندما تأتينا مسألة جديدة، فلا بد أن يكون حكمها موجوداً في كتاب الله، أو في سنة رسوله، نصاً أو استنباطاً، كما قال جل وعلا: { وَأَوْزِدُوهُ إِلَى الرُّسُولِ وَالْأُولَى الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } فحينئذ كيف يستنبطونه؟ بواسطة هذه القواعد قواعد التفسير وأصوله-، وبمراعاة هذه القواعد، نسلم بإذن الله من الخطأ في التفسير

الضابط الثالث: ان يكون المجدد ربانيا

والمقصود بكون المفسر ربانيا ان يتحلّى بكلمات اليقين، ونوافل الطاعات والترقي في مدارج السالكين والابتعاد عن الشبهات والشهوات والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة

قال سيد قطب " فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب . هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك . هي التي تهيم لهذا القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب . لا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم . بقلب خالص . ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى ، ويحذر أن يكون على ضلالة ، أو أن تستهويه ضلالة . . وعندئذ يفتح القرآن عن أسراره وأنواره ، ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقياً ، خائفاً ، حساساً ، محمياً للتلقى . . ورد أن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال بلى! قال : فما عملت؟ قال : شمرت واجتهدت . قال : فذلك التقوى . . فذلك التقوى . . حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوق لأشواك الطريق . . طريق الحياة . . الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ، والخوف الكاذب من لا يملك نفعاً ولا ضراً . وعشرات غيرها من الأشواك "

الضابط الرابع: ان يكون متسلحاً بالثقافة الإسلامية الاصيلية

يجب ان تشمل ثقافة المفسر على دراسة الشبهات التي اثارها اقلام ارباب الغزو الثقافي الغربي وسدنتهم من زنادقة وماجورين فيما يتعلق بالمرأة وعملها، والرق، والوحي، والنبوة، والزواج،، كما يجب على المفسر المجدد ان يقوم بدراسة التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة كالعلمانية، والماسونية، والشيعوية، والرأسالية، والديمقراطية، والصهيونية، والصليبية والبهائية، وغيرها من الدعوات المنحرفة وبيان اخطارها والرد على شبهاتها والتحذير من انتشارها

ثانيا: ضوابط في عملية التجديد في التفسير

يمكن بيان تلك الضوابط بالنقاط الآتية

الضابط الاول: الجمع بين الرواية والدراية

ان من اقوم المناهج التفسيرية هو ان يجمع المفسر بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي قال الشوكاني " لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن ولا اعتبار بما لم يصح كالتفسير

المنقول بإسناد ضعيف ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وإن صح إسناده إليه وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين وعدم الاختصار على مسك أحد الفريقين"

قال محمد ابو زهرة " وإن الطريقة المثلى التي توصل إلى الغاية في فهم القرآن ، وتعرف معانيه ، وإدراك دلائل إعجازه هي الاعتماد على النقل والعقل ، فلا يصح الاختصار على النقل وحده ، ولا على العقل وحده ، وإنما النظر الأمثل هو أن يعتمد على العقل والرأي وعلى السماع من أقوال رسول الله في فهم القرآن ، فظواهر القرآن من الألفاظ ، والآثار التي تعاضد الظاهر ، لا تكفي وحدها بل تساعد العقل ، وتفتح له السبل لاستخراج معاني القرآن المتسعة الأفق البعيدة المدى التي توجه الفكر إلى أعمق الحقائق العلمية والكونية والنفسية ، وكلما تفتح العقل في ظل إدراك الألفاظ وظواهر اللغة أدرك إدراكا صحيحا ما تشير إليه الحقائق الكونية ، وما يشير إليه القرآن "

الضابط الثاني: الموازنة في الاعتماد على النقل والعقل

الضابط الثالث : عدم الشرود عن اجماع الامة

ثالثا :معالم رئيسة للتجديد التفسيري

١- ابراز الغرض الاساسي من نزول القران

٢- مقاومة الغزو الفكري

٣- ابراز جوانب الاعجاز العلمي